**الدكتور : مصطفى كيحل**

**قسم الفلسفة ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية**

**المادة التعليمية الأساسية: فكر عربي معاصر**

**السنة الثالثة ليسانس فلسفة**

**السداسي السادس**

**دروس نظرية في المادة التعليمية :**

**فكر عربي معاصر.**

**:**

**الوضعية المنطقية عند زكي نجيب محمود (1905-1993)**

السنة الجامعية 2019-2020

**تمهيد :**

لقد حمل زكي نجيب محمود لواء الدفاع عن الوضعية المنطقية ، منذ بداية عقد الأربعينيات من القرن العشرين ، و كان يصدر في ذلك عن موقف مفاده أن الوضعية المنطقية تحمل مشروعا علميا تنويريا نهضويا ، لأن تحقيق الثورة العلمية و الإقلاع الحضاري و الاحتكام إلى العقل و المنطق في الفكر و الفعل متوقف على ضرورة انتصار الفكر الوضعي العلمي .

و لذلك ما فتئ زكي نجيب محمود يروج لهذه الفلسفة العلمية كما ينعتها ، و كانت كل أعماله العلمية تنصب في هذا الهدف و نذكر منها " المنطق الوضعي " " نحو فلسفة علمية " خرافة الميتافيزيقا " " المعقول و اللامعقول في تراثنا الفكري " " ثقافتنا في مواجهة العصر " " قصة عقل " " هذا العصر و همومه " و غيرها من الكتب .

و كانت رحلته إلى انجلترا سنة 1944 حتى سنة 1947 و هي السنوات التي أكمل فيها أطروحته للدكتوراه في الفلسفة حاسمة في توجهه الفلسفي ، و يشير إلى أن اهتداءه إلى الوضعية المنطقية كان من خلال اطلاعه على كتاب " ألفرد جون اير " اللغة و الصدق و المنطق " و من خلال القراءة الأولى أحس بلمعة ذهنية عبر عنها بقوله : " أما اللمعة الذهنية التي أحسست بها في تلك اللحظة فهي شعوري بأنني أقع هنا ، دون سائر التيارات و المذاهب ، و لم يبد لي الأمر مقصورا على مجاز شخصي يتفق و ذلك الموقف الفلسفي الجديد كأنما هو الثوب فصل على طبيعة تفكيري تفصيلا جعل الرداء على قد المرتدي بل أني شعرت في اللحظة نفسها بأنه إذا كانت الثقافة العربية بحاجة إلى ضوابط تصلح لها الطريق ، فتلك الضوابط تكمن ها هنا "

و يواصل ساردا لقاءه مع الوضعية بقوله " فما أن تلقيت الفكرة الأساسية في هذا الاتجاه ، حتى أحسست بقوة أنني خلقت لهذه الوجهة من النظر " و برر ذلك بدفاعه عن العلم " و انما أنا أناصر المذهب الوضعي المنطقي لأنني مؤمن بالعلم ، و لما كان هذا المذهب هو أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمي كما يفهمه العلماء الذين يخلقون لنا أسباب الحضارة في معاملهم ، فقد أخذت به أخذ الواثق بصدق دعواه و طفقت أنظر بمنظاره إلى شتى الدراسات "

و شرح زكي نجيب محمود ذلك أكثر فرأى أن الوضعية المنطقية هي أداة لتصحيح منهج التفكير و تعيين شروط الكلام المفيد ، و توضيح الأفكار التي تدور حولها ألسنة المتكلمين و أقلام الكاتبين .

**الأسس النظرية للوضعية المنطقية** :

الوضعية المنطقية لا تمثل نسقا مكتمل و تام الانجاز ، كما لا تمثل أيضا مذهبا مغلقا ذا أسس راسخة و ثابتة و تندرج فيها عدة تيارات منها :

الذرية المنطقية التي يتزعمها راسل و عرفت في انجلترا تحت اسم " جماعة كمبريدج "

جماعة فيينا و هي النواة الأساسية للوضعية المنطقية ، و هي جماعة علمية تتكون من مجموعة من العلماء وهم من المشتغلين بالعلوم الطبيعية و الرياضيات من جانبهما الفلسفي .

و الاتجاه الثالث تمثله الفلسفة المنطقية المعاصرة المنتشرة في بولونيا تحت اسم " مدرسة التحليل "

و ما يجمع هذه التيارات رغم تباينها هو المعرفة بالخبرة الحسية و التقيد بالمعطى العيني و نبذ التأمل الفلسفي الذي يتجاوز مفردات العالم الحسي ، فلما كان وضع الأمور في عالم الواقع هو وحده مجال البحث العلمي أطلق على النظرة العلمية اسم " الوضعية " فإن كان الوضع القائم الذي يشغل الباحث عبارة عن جمل لغوية أو ألفاظ كانت الوضعية في هذه الحالة وضعية منطقية .

و تقوم الوضعية المنطقية على عدة مفاهيم أساسية :

مفهوم الفلسفة : كفت الفلسفة من المنظور الوضعي عن بناء و تشييد الأنساق الفلسفية و ليست مشغولة بتفسير العالم و الوجود و الميتافيزيقا و المعرفة ، و إنما اقتصر دورها على التحليل و التوضيح و عدم تدخلها في العلم و قضاياه ، إن الفيلسوف ليس من شأنه أن يقرر الحقائق عن العالم أو أي جزء منه لأن ذلك من شأن العلماء وحدهم كل عالم في المجال الذي اختص به ، و إنما ينحصر عمل الفيلسوف في تحليل ما يقوله العلماء من قضايا تحليلا يبرز تكوينها و عناصرها ثم يظهر ما استبطن في جوفها من فروض سابقة متضمنة " .

أي أن الفلسفة من المنظور الوضعي هي تحليل صرف لقضايا العلم و التوضيح المنطقي للأفكار ، فالفلسفة ليست نظرية من النظريات بل فاعلية توضيحية للأفكار المبهمة ... فالفلسفة كما يقول " لودفيج فتجنشتين " هي معركة ضد البلبلة التي تحدث في عقولنا نتيجة لاستخدام اللغة ."

و يميز زكي نجيب محمود بين نوعين من التحليل و هما : التحليل المنطقي و التحليل الفلسفي ، أما التحليل المنطقي فينصب على التركيب اللغوي و المنطقي للعبارات ، أما التحليل الفلسفي فينصب على المضمون المعرفي للعبارات ، أي يتناول المدركات الفلسفية . و هذا ما يجعل الفلسفة تهتم بإطار المعرفة و هيكلها ، أي الهيكل المنطقي و الصورة اللغوية التي تندرج في إطارها المادة المعرفية ، فالفلسفة لا يشغلها مضمون و معنى العبارة بقدر ما يشغلها الجانب المنطقي ، في حين العلم يهتم بمحتوى المعرفة.

رفض الميتافيزيقا : أعمل زكي نجيب محمود مشرطه التحليلي بقوة في كل ما يتعلق بالميتافيزيقا ، حيث كتب في مقدمة كتاب " المنطق الوضعي " بقوله : و كالهرة التي أكلت بنيها جعلت الميتافيزيقا أول صيدي ، جعلت أول ما انظر إليه بمنظار الوضعية المنطقية ، لأجدها كلاما فارغا " حيث تقوم الوضعية المنطقية على ضرورة استئصال الميتافيزيقا من الفكر العلمي ، و إثبات أنها قضايا غامضة و كلام مهوش لا معنى له ، و هي نتيجة منطقية لنظرة العقل الوضعي الذي يقدم نفسه باعتباره منطقا للعلم و نفيا للميتافيزيقا ، فالميتافيزيقا لا تنتمي إلى القضايا التجريبية التي تصور الواقع الحسي و يمكن التأكد من صحتها أو كذبها من خلال مطابقتها أو عدم مطابقتها للواقع الذي جاءت لتصوره ، كما يجدها لا تنتمي إلى القضية الرياضية التي هي مجرد قضية تكرارية و تحصيل حاصل ، و بالنسبة لزكي نجيب محمود " لا تخرج العبارة التي يمكن وصفها بالصدق أو الكذب من أحد نوعين فهي إما تحليلية أو تركيبية و ليست العبارة الميتافيزيقية بواحدة منها " و العبارة الميتافيزيقية إما مشتملة على كلمة أو كلمات لم يتفق الناس على أن يكون لها مدلول بين الأشياء المحسوسة ، أو مشتملة على كلمة أو كلمات اتفق الناس على مدلولاتها ، و لكن وضعت في غير السياق الذي يجعلها تفيد معناها ، و إذا فالعبارات الميتافيزيقية فارغة من المعنى ، و ليس لنا بد من حذفها "

**التجديد و التراث عند زكي نجيب محمود :**

من بين القضايا النظرية و الفلسفية التي طرحت بقوة في الفكر العربي المعاصر إشكالية التراث و التجديد ، أو التراث و الحداثة ، لان النهضة لا تنطلق من فراغ بل لا بد فيها من الانتظام في تراث ، و الشعوب لا تحقق نهضتها بالانتظام في تراث غيرها بل بالانتظام في تراثها هي ، تراث الغير صانع الحضارة الحديثة ، تراث ماضيه و حاضره ن ضروري لنا فعلا و لكن كتراث نندمج فيه و ندوب في دروبه و منعرجاته ، بل كمكتسبات إنسانية علمية و منهجية متجدلة متطورة ، لا بد لنا من الانتظام الواعي و العقلاني النقدي في تراثنا نحن ، و لكن هذا لا يعني الاحتماء بالتراث و رفض التفتح على الآخر كما يده بالى ذلك من يرفضون أن يلامس التراث أي شيء من الخارج حتى لا يدنس ، و قد اجتهد زكي نجيب محمود في تقديم مقاربته للتراث و يمكن أن نميز في ذلك بين مرحلتين أساسيتين و هما :

المرحلة الأولى و هي التي رمى فيها بأثقاله في الفكر الغربي و تشربه حتى النخاع ، و كان ضد العودة إلى التراث و رأى في نشر كتب العرب الأقدمين بالوباء الذي يصيب نهوضنا الفكري ، و أن الثقافة العربية القديمة تعود بالزمان القهقري ، و أن قيمتها لا تساوي قيمة الورق الذي يطبع عليه ، و يرفع صوته قائلا : " إننا يا قوم في واد و الدنيا المتحضرة في واد أخر " و يدعو في هذه المرحلة إلى القطيعة مع التراث و يقول " لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بترا ، و عشنا في عصرنا علما و حضارة و وجهة نظر إلى الانسان و العالم " .

المرحلة الثانية : تبدأ هذه المرحلة مع بداية السبعينات من القرن العشرين ، ففي مقدمة كتابه المهم " تجديد الفكر العربي " أكد على مشكلة مفادها كيف نوائم بين ذلك الفكر الوافد الذي بغيره يفلت منا عصرنا أو نفلت منه ، و بين تراثنا الذي بغيره تفلت منا عروبتنا أو نفلت منها "

و عليه كيف يمكن أن ننسج الخيوط التي استللناها من قماشة التراث ، مع الخيوط التي انتقيناها من قماشة الثقافة الأوروبية و الأمريكية ، كيف ننسج هذه الخيوط مع تلك في رقعة واحدة لحمتها من هنا و سداها من هناك فإذا هو نسيج عربي معاصر "

و يوضح زكي نجيب محمود ذلك الانتقال بقوله " فأما المرحلة الأولى من حياتي الفكرية ، فقد كنت فيها لا أجد بديلا لصورة الحضارة الغربية كما هي في عصرنا لأنها هي حضارة القوة و العلم و الإبداع و المغامرة و تحقيق السيادة على الطبيعة ، فتسخرها تسخيرا لا يقتصر نفعه على قلة من الناس ، بل إن نفعها ليعم حتى يصل إلى أصغر كوخ في أقصى الأرض ، لكنني عدت بعد تلك المرحلة الأولى فرأيت أنها و إن تكن ضرورية ضرورة الحتم الذي لا يدع مجالا للاختيار إلا أنها ليست وحدها كافية ، إذ لا بد أن تضيف إليها كل أمة ما يميزها من سمات ثقافية هي التي حددت لها هويتها ".

**مبدأ الثنائية في هيكل الثقافة العربية :**

ينظر زكي نجيب محمود إلى الثقافة العربية قديمها و حاضرها نظرة ثنائية ، فهي تفرق تفرقة حاسمة بين الله و خلقه بين الفكرة المطلقة و عالم التحول و الزوال بين الحقيقة السرمدية و حوادث التاريخ بين سكونية الكائن الدائم و دينامية الكائن المتغير ، فالأول جوهر ثابت لا يتبدل و الثاني عرض يظهر و يختفي ، و يفسر زكي نجيب محمود هذه الثنائية بإرجاعها إلى عاملين أساسيين و هما : الديانات السماوية و الصحراء .

فالعربي مهيأ بحكم رؤيته الذي طبعته بها طبيعته الصحراء – و الصحراء هي بيت العربي من الخليج إلى المحيط -... فالعربي مهيأ بحكم تلك الطبيعة الصحراوية لان يتعلق بما هو ثابت و دائم و مطلق إذ هي صفات توحي بها الصحراء .. أي أن العربي عندما ينظر أمامه يجد امتدادا لا يعرف النهاية ، فالمعاني التي تنطبع بها نفس الصحراوي و قلبه و عقله و هو يشهد ذلك الامتداد اللامتناهي في الأرض و في السماء ، هي فكرة اللامتناهي و المطلق الذي يسرح فيه خياله . و إلى جانب الصحراء هناك الديانات السماوية التي الى المطلق ، و هذه النظرة الثنائية تتجلى في مجالات الوجود المختلفة في الأخلاق و في المعرفة .

الإطار و المضمون : يدعو زكي نجيب محمود إلى ضرورة رفع القداسة عن التراث ، فعندما نقرا ما خلفه السلف نقراه " لا لكي نكون عيالا عليهم ن و هم يأمرون و نحن نأتمر ، فهم رجال و نحن رجال ، لكننا نطالعهم لنشعر بطمأنينة من يعتصم بالحبل حتى لا تقتلعه الريح أو يبتلعه الطوفان " فالتراث هو إبداع بشري ، و وجد زكي نجيب محمود المفتاح في حل مشكلة التراث في عبارة قرأها نقلا عن "هاربرت ريد " يقول فيها " إنني لعلى علم بأن هنالك شيئا اسمه التراث و لكن قيمته عندي هي في كونه مجموعة من وسائل تقنية يمكن إن نأخذها عن السلف لنستخدمها اليوم و نحن أمنون بالنسبة إلى ما استحدثناه من طرائق جديدة ".

بمعنى أن المدار في التعامل مع التراث إنما هو مدار العمل و التطبيق ، نأخذ من التراث ما نستطيع تطبيقه تطبيقا عمليا ن فيضاف إلى الطرائق الجديدة المستحدثة ، لأن الثقافة هي طرائق عيش و أساليب في الحياة ، و يكيف هذا المعيار تكيفا وضعيا جديدا من صلب الوضعية المنطقية و هو ما يسميه الإطار و المضمون أو الموقف و التفاصيل ، فالعلم يهتم بالمعرفة من حيث مضمونها و الفلسفة تهتم بالمعرفة من حيث إطارها و هيكلها ، و في إجابته عن السؤال ماذا نأخذ و ماذا نترك من التراث ، يقول 3 نأخذ جزءه العاقل المبدع الخلاق ن لا لنقف عند مضمونه و فحواه نبدي و نعيد ، بل لنستخلص منه الشكل ، كي نملا هذا الشكل بمضمون من عصرنا و حياتنا و من خبراتنا ، و إنما قصدت بالشكل هنا القيمة أو طريقة النظر أو ميزان الحكم كمن يستعير من صاحبه منظارا مقربا أو مكبرا ، لا لينظر به إلى المشهد نفسه ... بل ليكون له مشهده الخاص و إدراكه المتميز الأصيل "

و عليه إضافة إلى معيار التطبيق العملي هناك أيضا معيار الشكل دون المضمون و الإطار دون المحتوى " لان شر خيانة يخون بها المعاصرون أمانة السالفين ، هي أن يقلدوهم تفصيلة بتفصيلة و موقفا بموقف ، و إنما الأمانة أن نحافظ على المنظار الذي يساعدنا على رؤية ما هو دقيق و ما هو بعيد دون أن نتوقع رؤية المشاهد نفسها التي كان قد شاهدها السابقون بنفس المنظار ن فمن الحقائق الحضارية الكبرى أن الحضارة المعينة إذا ما بلغت درجة معينة من الكمال تأخذ في الانحدار إذا ظللنا نحاكي هذا الكمال نفسه كما وقع ، و لكنها تطرد في الصعود إلى كمال أوفى إذا نحن اصطنعنا طريقة السير التي سار بها السابقون "

يتبع....